هل ينجح محمد بن سلمان في إعادة برمجة الشعب؟

. المشهد الفاضح في قاعات الخارجية الأمريكية: تفاصيل اللقاء والمحذوفات

لم يعد الحديث عن "تحديث التعليم" في السعودية مجرد شعار محلي، بل تجسد بصورة صارخة وصادمة في كواليس الدبلوماسية الدولية؛ إذ تصدّرت الواجهة صورةٌ ولقاءٌ جمع وزير التعليم السعودي يوسف البنيان داخل أروقة وزارة الخارجية الأمريكية، بحضور لافت للحاخام يهودا كابلون (Yehuda Rabbi Kaploun)، المبعوث الخاص الأمريكي لمراقبة ومكافحة معاداة السامية.

المفارقة المدوية لم تكن في البروتوكول الدبلوماسي وحده، بل فيما حمَله هذا الحضور؛ حيث عبّر المبعوث الأمريكي بوضوح، في سياق تقييم المناهج، عن ارتياحه وامتنانه لمسار ما وُصف بـ «تنظيف وتطهير» المناهج الدراسية السعودية من المضامين التي تُصنّف غربياً وإسرائيلياً بأنها "معادية للسامية" أو "مزعجة لإسرائيل".

ولم تكن تلك الإشادة نظرية، بل استندت إلى تقارير رصد موسعة أعدتها مراكز أبحاث لصيقة بإسرائيل وواشنطن (مثل معهد se-IMPACT)، والتي كشفت تفاصيل ما تم شطبه بأقلام مقص الرقيب السعودي:

- إسقاط الثابت التاريخي:

كان الحذف الأكثر استفزازاً لمشاعر الأمة هو الشطب الصريح لعبارة كانت تتوارثها الأجيال في منهج الصف الحادي عشر: «لن يتنازل المسلمون عن القدس»، وهي العبارة التي عُدّت إسرائيلياً بمثابة "تحريض" يؤبد حالة الصراع.

- طمس الخرائط وتغيير المفاهيم:

محو اسم "فلسطين" عن الخرائط التاريخية لتبقى بيضاء مفرغة، مع استبدال مصطلح "العدو الصهيوني" بتعابير مخففة مثل "الاحتلال الإسرائيلي"، وصولاً إلى نزع الآيات والأحاديث التي كانت تؤسس للمواجهة العقدية أو تصف صفات الغدر، بل وحتى شطب قصص نبوية عادية اعتبرتها معاهد الرصد "غير مريحة لليهود".

2. التناقض التاريخي: وظيفة «التطرف» ووظيفة «التفلت» في خدمة المشروع ذاته

لفهم دلالة جلوس وزير التعليم يوسف البنيان ومباركته لهذه التعديلات، لا بد من العودة إلى الوراء لعقود:

- عقود تصدير الفكر التكفيري:

منذ نشأة الدولة السعودية وهي في تحالفها التاريخي بين السيف والفتوى الوهابية، استثمرت السلطة مليارات الدولارات وعقوداً طويلة في حشو عقول أبناء الجزيرة العربية بأفكار التكفير والولاء والبراء والتطرف الدموي، لم يكن ذلك الفكر موجهاً لتحرير الأمة، بل خُدمت به استراتيجيات غربية وأمريكية بحتة (من محاربة السوفييت في أفغانستان، إلى ضرب حركات التحرر الوطني والقومي، وتوليد حركات تكفيرية كالقاعدة وداعش مزقت الجغرافيا الإسلامية).

- الانقلاب الفوقي المفاجئ:

اليوم، وعندما انتهت صلاحية ذلك الفكر ولم يعد يخدم متطلبات واشنطن ومسار "اتفاقيات أبراهام"، قررت القيادة السعودية بقيادة محمد بن سلمان تفكيك تلك المنظومة، لكنها لم تفككها عبر حوار فكري رصين أو وعي تنويري مقاوم، بل انقلبت إلى الضفة المعاكسة تماماً: التفلت القيمي الشامل، والتبرؤ من فلسطين والمقاومة والعروبة، ومسح ثوابت العقيدة لإرضاء ساسة واشنطن وتل أبيب.

3. التشخيص السوسيولوجي: الصدمة المجتمعية والفصام القيمي

إن المقارنة بين الزمنين تفضح حجم الجريمة المرتكبة بحق شعب الجزيرة:

1. الفارق الزمني والعمق التراكمي:

انتشر الفكر الوهابي التكفيري على مدى عشرات السنين وعبر أجيال متتالية، فتجذّر في النفوس وأصبح جزءاً من الهوية الحركية للمجتمع، بينما يجري اليوم تفكيك هذا المجتمع والتبرؤ من كل إرثه خلال بضعة أعوام وأسابيع معدودة وبقرارات سلطوية فوقية جافة.

2. صدمة المجتمع (Shock Culture Social):

يؤكد علماء الاجتماع والنفس الاجتماعي، أن القفز بمجتمع من حالة "الإغلاق التكفيري والتشدد المطلق" إلى حالة "الانفتاح الاستهلاكي، الترفيه السطحي، وإلغاء القضايا المقدسة"، لا ينتج مجتمعاً حراً ومتحضراً، بل ينتج حالة من الاضطراب الحاد في الهوية والانتماء.

3. تفلت وليس تحرراً:

القوانين والممارسات الجديدة ليست تحرراً؛ فالتحرر يعني وعياً سياسياً، وحرية تعبير، ودفاعاً عن الحقوق والكرامة، أما ما يجري فهو "تفلت أخلاقي وإلهاء ترفيهي" مُصمَّم بعناية لتعطيل العقل، وإفقاد المجتمع بوصلته، وضمان صمته أمام التنازلات السياسية الكبرى.

4. الخلاصة:

يقف مشروع محمد بن سلمان اليوم على أرضية شديدة الهشاشة؛ فالشعوب ليست أقراصاً مدمجة تُمسح محتوياتها بضغطة زر.

إن محاولة «إعادة برمجة» شعب الجزيرة العربية من خلال إجتماع وزير التعليم يوسف البنيان أمام مسؤولين ومبعوثين أمريكيين لمباركة شطب القدس والتاريخ، إنما تُفضي إلى إنتاج حالة عميقة من ازدواجية الشخصية وانفصام السلوك الجمعي؛ حيث تترك المجتمع رهينةً بين شقين:

باطنٌ وموروثٌ: ما زال يختزن في الذاكرة واللاوعي وتراث العائلات عقوداً من التشدد والمشاعر الدينية والوجدانية المحتقنة. وظاهرٌ وسلوكٌ: يُجبر قسراً على مسايرة مسارات

الانفتاح السطحي، والترفيه المصطنع، والتطبيع المفروض بالقبضة الأمنية.

إن هذه الهوة السحيقة بين الباطن والظاهر تجعل المجتمع قنبلة موقوتة قابلة للانفجار؛ فالتجربة الإنسانية أثبتت دوماً أن الأنظمة التي تسعى لكسب رضا القوى الاستعمارية عبر محو هوية شعوبها وبيع مقدساتها كقضية فلسطين والقدس، إنما تزرع بذور سقوطها السياسي والأخلاقي والوجودي، لأن الذاكرة الجمعية للشعوب قد تُقمع أو تُحاصر، لكنها أبداً لا تموت.